المراد به التقريب لا غير كما عرف مما مر ولا يشتان ما بين
الامرين الا ترى ان عدم تناهي تلك الحبوب والقصار انما هو في
مدة قليلة ثم تفنى عن قريب واما تلك الحروف وما من معانيها لا
تتناهى لا في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال
للقارئ في الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه
يعلم انه يقرأ ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها
وما يفتح الله به على القراء من انواع المعارف اللائقة بتلك
الدار وتلك الذوات التي تم جميعها التام وذلك امر لا يتناهى
ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات والايات
البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والا
نكار وقالوا فيه التردد والريب اي الشك عطف مرادف فقالوا كما
حكاه الله عنهم في كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه سحر
اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كلما لطف مأخذه
ودق وقالوا مرة اخرى انه افتراء اي كذب ومرة اساطير الاولين الى
غير ذلك من افترائهم واختراعهم ومباهتتهم وتلبيسهم
وضلالهم فقالوا بل هو الله المتعين بانزال القرآن مجيدا في لوح
محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم
ولا رأي ولا استعداد ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق

فاطالوا فيه التردد والريب
فقالوا سحر وقالوا افتراء

ولم

ولم يبصر سواء الطريق لما هو المقرر في العقول السليمة من
الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية
البراهين الواضحة البيان لم تغنهم اي تفدهم شيئا من الهدى
والتماس الهدى بعد اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الاياس من ايمانهم
عناء اي تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت عن طريق الحق العقول جمع
عقل وسبق الكلام عليه مستوفى على اي مع علم منها بتلك
الطرق التي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول تقوله الانبياء
النصحاء وقولهم حينئذ لا يفيد والبيت الاول مقتبس من قوله
تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون والثاني من قوله
تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
افلا تذكرون وقد يما فرت به كلامه يعلم ان هذين البيتين من
الكلام البديع الجامع تتميمه لا يتوهم من النظم انه مخالف
لقول الائمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال كغيره كتكليف
ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بانه لا يؤمن وذلك لان
التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا
عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه
ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يؤمنون لان
هذا الا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ

واذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى بعد عناء

واذا ضلت العقول على علم
فماذا تقوله النصحاء

تنبيه على
اجماع الامة على
التكليف بالمحال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)